

# قصة حياة القديسة العفيفة دميانة

تقديم

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة العفيفة دميانة

## المحتويات

تقديم

الفصل الأول: نشأة الشهيدة

الفصل الثاني: تجربة عنيفة

الفصل الثالث: آلام وأبجاد

الفصل الثالث: تاريخ الدير

تمجيد للقديسة دميانة

## تقديم

شئ جميل ومفرح أن يصدر كتاب شامل عن سيرة القديسة الشهيدة العفيفة دميانة والأربعين عذراء الشهداء متضمناً وصفاً لديرها العامر ما بين الماضى والحاضر.

نشكر الرب على هذه البركة التي يرجع الفضل فيها إلى صلوات ومجهودات وتوجيهات صاحب القداسة البابا شنودة الثالث الذي اهتم بتعمير هذا الدير وإعادة الحياة الرهبانية إليه في 1978/9/24، والاعتراف به رسمياً كأحد أديرة الراهبات في كنيسةنا القبطية الأرثوذكسية في جلسة المجمع المقدس برئاسة قداسته في 1979/2/20م.

لقد شرفني الرب على غير استحقاق أن أكون خادماً للقديسة دميانة في ديرها الذي ضم جسدها الطاهر بعد استشهادها في أواخر القرن الثالث الميلادي. وقام بتكريس أول كنيسة لها البابا ألكسندروس التاسع عشر في بطاركة الإسكندرية ومعه شماسه وتلميذه اللامع القديس أثناسيوس الرسولي الذي تولّى البطريركية من بعده سنة 328م.

إن عبير القداسة يشيع في هذا المكان المقدس؛ وشهادة القديسة دميانة لم تذهب هباءً، بل امتد أثرها على مدى أكثر من سبعة عشر قرناً في سيرتها العطرة وفي المعجزات العديدة التي يمجّد الرب بها شهيدته وعروسه المحبوبة هي وصاحباتها العذارى الأربعين.

وقد دبر الرب بتوجيهات قداسة البابا شنودة الثالث أن تعود الحياة الرهبانية الرائعة التي بدأها القديسة دميانة، وانتهت باستشهادها هي والعذارى الأربعين. وأصبح الدير حالياً يحوى 60 راهبة و14 طالبة رهبنة يواظبن على صلوات المزامير والتسبحة الليلية إلى جوار القداسات وصلوات رفع بخور عشية وباكراً، ويعملن عملاً يدوياً مع القراءة في الكتب المقدسة والكتب الروحية والنسكية. ويمارسن حياة البعد عن العالم، والانقطاع الكبير عن الأهل والأصدقاء والحياة الاجتماعية للتفرغ لحياة الكمال الرهباني.

إنني أشكر راهبات الدير على إصدار هذا الكتاب عن سيرة الشهيدة المحبوبة القديسة دميانة وعذاراها الأربعين وعن ديرها قديماً وحديثاً حاوياً كثيراً من الصور. وأطلب من الرب أن يحقق لهن وهن كل أمنيات تجديد حياة القديسة دميانة الرهبانية واستمرارها لمجد الله. بصلوات أيينا صاحب القداسة البابا شنودة الثالث. ولربنا المجد إلى الأبد آمين.

بشوك

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير الشهيدة دميانة

2005/9/24م

تذكار مرور 27 عاماً على

إعادة الحياة الرهبانية إلى الدير

## تمهيد

هناك الكثير من المخطوطات القديمة سجلت فيها سيرة القديسة دميانة، ونحن في كتابنا هذا أخذنا من بعض المخطوطات الموجودة في ديرها بالبرارى مثل: {المخطوطة (رقم 72631a) وتاريخ نسخها سنة 1449ش، أى سنة 1732م، أى منذ حوالى 273 سنة ميلادية. والمخطوطة رقم (72555a) وتاريخ نسخها سنة 1498ش، أى سنة 1781م، أى منذ حوالى 224 سنة ميلادية} واللذان نُقلتا عن المخطوطة التى كتبها الأنبا يوحنا أسقف البرلس -نقلًا عن مخطوطة أقدم منها- فى القرن السادس فى زمن البابا دميانوس الـ 35 (563-598م)<sup>1</sup> تشمل تتابع أحداث سيرة القديسة دميانة، وخبر تكريس كنيستها فى أيام قسطنطين الملك وفى أيام الخليفة سنان فى اليوم الثانى عشر من شهر بشنس وهذه مقتطفات منها<sup>(2)</sup>:

يوحنا المدعو بنعمة الله أسقفًا على البرلس والزعفرانة وما انتهى إلىّ أنا المسكين. من هذا الخبر وهذه السيرة الفاضلة المقدسة التى للقديسة الشهيدة دميانة:

أما بعد أيها الإخوة الأحباء المؤمنون حرسكم الله بيمينه الحصين من سائر التجارب العارضة، وأتعب العالم الرديئة، أسألکم أن تميلوا إلىّ بقلوبکم قبل آذانکم لأتلو علیکم ما قد وجدته أنا الحقير المسكين يوحنا المدعو بنعمة الله أسقفًا على البرلس والزعفرانة، وما انتهى إلىّ أنا المسكين، من هذا الخبر العجيب، وهذه السيرة الفاضلة المقدسة التى للقديسة الشهيدة المختارة البارة دميانة. وهو إني لما جلست على كرسى الأسقفية بالبرلس، وكنت أحضر دائماً إلى كنيسة بالزعفرانة وأنظرها وأصلى فيها، وهى مهدمة قديمة من كثرة ما مرّ عليها من الأيام، وهى خراب من عدم الاعتناء بها. فلما مضى لى مدة على هذا الحال، خطر ببالى فكراً، وهو إننى اشتقت أن أنظر خبر الشهداء سكان هذه البيعة وأعرف قصتهم، ومضت لى مدة وأنا مفكراً فى هذا الأمر، وكنت لا أستطعم بطعام ولا بنوم لأجل ما فى قلبى من هذا الأمر.

وفيما أنا كذلك إذ حضر إلىّ راهب قديس من سكان دير الميمة قبلى البيعة المذكورة، وكان معه كتب قديمة مهربية (أى ممزقة) قد تمادى عليها سنيناً وأعواماً كثيرة، كأن ذلك الراهب قد حُرّك من قِبَل الله، وقال لى: يا أبى خذ هذه الكتب عندك لتفعل بهم ترتيب البيعة لأنك أبونا ولك النظر على البيع. ولوقت أخذتهم من ذلك الراهب، ومضى بعد أن أخذ البركة من حقارتى أنا المسكين، ولعظم اشتياقى فى الخبر السعيد فتشّشت فيهم فوجدتهم ترتيب تلك البيعة المقدسة قبطياً وعربياً.

وفيما أنا أفتش وجدت الخبر المطلوب أعنى سيرة القديسة العفيفة الطاهرة الست دميانة. وقد مر عليها أياماً كثيرة، وإن أخذت دواة وقلم وورق وبدأت أنسخه ثانياً، وكان مكتوباً بخط عبد من عيد يوليوس الأقفهصى، اسمه اخرستوذولو يقول فيه هكذا:

<sup>1</sup> من كتاب الخريدة النفيسة الجزء الثانى صفحة 43

<sup>2</sup> هذا نقلًا عن المخطوطة بتصوّف مع تعديل بعض الألفاظ وتوضيح بعض العبارات بما يناسب قارئ وقتنا الحاضر.

# الفصل الأول

## نشأة القديسة دميانة

كان إنسان يسمى مرقس والياً على مدينة الزعفرانة بوادى السيسبان، وكان موسراً بالمال والعييد والإماء والمواشى والغلال والحقول والبساتين والمزروعات والذهب والفضة وسائر الخيرات التي لهذا العالم الزائل، وكان له ابنة وحيدة لم يكن له سواها اسمها **دميانة** وكانت عزيزة عنده جداً، يحبها حباً شديداً لأنها كانت جلييلة عند أهلها، جميلة الخُلقة، حسنة الصورة إلى الغاية، فائقة في حسنها وجمالها، ولعظم حبه لها لم يكن يقدر أن يفارقها، ولم يدعها بعيدة عنه ساعة واحدة. وكانت تنشأ بالنعمة الإلهية إلى أن كمل لها سنة واحدة، فأخذها وأخذ شمعاً ونذوراً وقرايين وأتوا إلى دير الميمة قبلى مدينتهم بقليل، وعمدوا الابنة المباركة وأسماها دميانة وكانت ليلة شريفة بالأفراح والأغانى الروحانية، ثم رجعوا إلى الزعفرانة مدينتهم، وعملوا وليمة عظيمة للمحتاجين والضعفاء في ذلك اليوم وثانيه وثالثه على اسم السيد المسيح، وهم فرحون بما حصل لهم من قبل عماد ابنتهم دميانة، وذلك السرور الذى أفرح قلب والدها.

وبعد ذلك ربّوها بأحسن تربية وعلموها القراءة في الكتب، فكانت دائماً تختلى بنفسها، وتقرأ وتبكي. فلما كمل لها من العمر خمسة عشر سنة أراد أبوها أن يزوجه لأحد أكابر مدينته، فلما بلغها ذلك الخبر قالت لأبيها: "يا أبى كيف يخطر ببالك هذا الفكر، وأنا قد نذرت نفسى أن أكون عروسة للمسيح خالق السماء والأرض، أنا خادمته ولن أفعل هذا.. أبداً". فقال لها أبوها: يا ابنتى هذا لا يغضب الله، وحيث إنك أنذرتى نفسك بالبتولية لا يجب لى أن أغضبك. قالت له: يا أبى الحبيب أريد منك شيئاً وهو سهل عليك. قال لها والدها وهو فرحاً: قولى لى أيتها الابنة المباركة السعيدة لأنى مستعد أن أفعل لك كل ما تريديه. قالت له: أنا قد فرضت (نذرت) نفسى لله وأكون بجسدى خادمة للمسيح إلهى ومولائى وحياتى. ومرادى منك يا أبى الحبيب أن تبني لى محلاً لطيفاً خارجاً بحرى هذه المدينة لأعبد إلهى ومخلصى يسوع المسيح فيه، لأنه يا أبى الواجب علينا أن نختلى للتسبيح والتقديس فى الليل والنهار، ولا يجب لى أن أشترك مع سكان هذا العالم لأن سيدنا المسيح لذكره السجود قال فى الإنجيل المقدس: "وأما أنت فمتى صليت فأدخل إلى مخدعك واغلق بابك وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء. فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية" (مت: 6: 6). ولم يقل هذا عن كل من أراد الصلاة أن يدخل مخدعه ويغلق بابه عليه، بل قال هذا يا أبى عن إغلاق أبواب العقل عن سائر الأفكار، فإذا أكمل إنسان هاتين الوصيتين كان من أهل الكمال. وخصوصاً أنا يا أبى لكون إبنى بنت وآنية ضعيفة مسكينة أريد محلاً استتر فيه. والآن أسألك يا أبى تمام مسألتى لأكون ساهرة منتظرة ورود اللص، أعنى الموت، بغتةً. لكى إذا جاء يجدنى خالية من اهتمام العالم الباطل، ويكون لك أعظم الأجر والثواب قدام منبر ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح المبارك الدائم إلى الأبد آمين.

فلما قالت الست دميانة هذه الكلمات لوالدها، ابتهج بالفرح والسرور، ومن شدة الفرح تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها: ابشرى بالفرح والابتهاج أيتها الابنة المباركة إننى من الآن فى هذا الوقت صانع لك كل ما أردت وفاعل لك ما طلبت. وللوقت والساعة أسرع وأحضر مهندساً بارعاً حكيماً مسموعاً فى تلك البلاد كلها بالصناعة الجيدة، وجماعة بنائين.. وقال لهم لما حضروا: أريد منكم أن تعملوا لابنتى دميانة المحبوبة عندى قصرأ فى الموضع الذى أريكم إياه.. وها وكلائى والأمناء على أموالى أمرتهم أن يدفعوا لكم كل ما تحتاجوه من الأموال والأرزاق والغلال والمأكول كامل ما تريدهوه بزيادة، واعملوا شغلكم أحسن الصناعة التى عندكم. قالوا له: سمعاً وطاعة يا حاكم البلاد.

ولوقته قام معهم وخرج إلى خارج المدينة أعنى مدينة الزعفرانة بحرى البلد بقليل، وأراهم الموضع، ولوقتهم هياًوا آلات البناء..

فلما فرغ الصناع من شغلهم حضروا إلى مرقس الوالى، وأعلموه بتمام القصر وللوقت قام، وأتى إلى المكان ودخل إلى القصر. فلما رآه فرح جداً لأنه كان نزهة للناظرين، فأنعى على الصناع بأفضل الأنعام والعطايا وتوجهوا بسلام.

## انفراد دميانة

وللوقت أحضر ابنته العفيفة الست دميانة، وأدخلها داخل القصر، واجتمعت عندها فى ذلك اليوم فى القصر أربعون عذراء من أولاد أكابر المدينة بالزعفرانة وهن كن صاحباتها سابقاً أبكاراً أطهاراً كالملائكة كن لا يفارقن الست الطاهرة دميانة بالصلاة المتواترة باكراً وعشية بدير الميمة قبلى بلدهم. وأن والد القديسة.. أمر الست دميانة بغلق القصر بالأقفال الوثيقة من داخل ومن خارج وودعها بسلام. وتوجه من عندها إلى المدينة..

وأما العذراء الست دميانة ورفيقاتها العذارى، فلم يفترن عن الصلاة الدائمة ليلاً ونهاراً، وصعدت صلواتهن إلى كرسى الإله القدوس مقوى الأوانى الضعيفة حتى ينلن مراتب الفردوس.

## الفصل الثاني

### تجربة ومعاناة

#### دقلاديانوس والوثنية

وكان في ذلك الزمان دقلاديانوس ملكاً على الرتبة الرومانية.. ومدينة الإسكندرية وخمس مدن الغربية ونواحيها. وكان يومئذ يعبد المسيح، وكان لشعب النصارى الأمانة والسلامة في سائر الأقطار، وكان هذا دقلاديانوس محباً لمقرس الوالى وبينهما محبة جلييلة وصحبة، ثم أنه أعطاه ولاية الفرما. فلما أخذ المنصب بولاية الفرما، قام بسرعة وجاء إلى القصر واستودع ابنته دميانة وأخذ بركة العذارى جميعاً، وتوجه بسلام إلى الفرما ومكث حاكماً فيها مدة.

فلما كان بعد ذلك طغى الشيطان قلب دقلاديانوس.. وانقلب عن دين المسيح، وعمل له سبعين صنماً ذهباً وفضة، وسمى منها خمسة وثلاثين ذكوراً وخمسة وثلاثين إناثاً، وسمى أكبر الذكور أبولون وأكبر الإناث أردميسه. ولوقت أمر بسرعة فأحضر مئة حصان بيض ملاح غالين القيمة. وألبسهم الحرير والديباج والأطلس، وعمل عليهم عدد رخت (سرج) ذهب أحمر، ودكاديك مطرزة ذهباً خالصاً وجعلهم أجنبة قدامه من غير أن يركبهم أحد، وجعل العسكر قدامه وكان عددهم كثيراً جداً ثلاثين ألف أميراً وضرب بالبوق عشرة أبواق من الشمال وعشرة عن اليمين، وطافوا راكبين وهم لابسين أفخر اللباس، ومئة وأربعون كاهناً للأصنام السبعين، لكل وثن كاهنان؛ واحد حامل الصنم والثاني بيخر له قدامه، وصاروا طائفين المدينة كلها، ومنادى يزعم زعقة مرعبة قائلاً: معاشر الأمم والناس جميع أهل أنطاكية والغرباء أيضاً، كل من يطيع الملك ويبخر لآلهته ينعم عليه بكل الأنعام الجزيلة، ومن خالف ولم يطع ينهب بيته ويحرق ويموت بأشر ميتته وأصعب العذاب.

فلما أكمل.. دوران مدينة إنطاكية جميعها، شمل الحزن جميع أهلها وكان فيها خلالتق كثيرة جداً نحو ألفين ربوة من غير عدد النساء خارجاً عن عدد الأجناد أيضاً والصبيان والعذارى، وبعد تلك الدورة بسط آلات العذاب في مجلس الحكم، ثم بسط الأصنام السبعين.. قدامه على كراسيهم وقام بسرعة وسجد لهم.. دقلاديانوس أولاً، وبعده رومانوس وزيره الكبير أبو بقطر، ثم كبراء الديوان منهم من سجد، ومنهم من تأخر؛ أعنى شجعان المسيح من الأكابر مثل القديس الإسفهلار تادرس، وتادرس المشرقى، ويسطس ابن الملك، وماربقطر، وأفلوديوس ولد (ابن) خاله وصدريخس، والسيد أبادير السفهلار، وكثير من أكابر المملكة صاروا في غم زائد بسبب هذا الأمر، وتقدموا إلى.. دقلاديانوس.. ورفضوا الأوثان، فمنهم من نفاه إلى مصر وبعضهم إلى بلاد بعيدة، وقتلوه هناك ومنهم من أباده بأشد العذاب والموت بالسيف أحياناً.

وصارت شدة عظيمة لا يقدر لسان على وصفها في سائر المسكونة.. وكسى الجو ظلام وسواد، ولوقت ظهر شجعان المسيح الأبطال وصعدت أرواحهم إلى الملكوت وصاروا شفعاء في الخطاة.

## مرقس والخيانة

والآن فلنعود إلى الشرح الموضوع لنا اليوم من أجل القديس مرقس الوالى والد القديسة دميانة: أرسل الملك أحضره من الفرما إلى أنطاكية من جملة الولاة الذين حضروا من سائر الأقاليم، وكان بينه وبين الملك صحبة ودالة قديمة لأنه كان شيخاً موقراً، وقال له الملك: ما بالك يا مرقس تتأخر عن السجود للآلهة الكرام الذين أعطونا الظفر والغلبة على سائر الممالك وأنت عين الأصحاب، وكبير الولاة. أما تنظر ما كان من البطرك لما أخفى ابن ملك الفرس، فلا تتأخر يا حبيبنا لأنك محبوبٌ عندنا، وبهذا الكلام اللين والتلاطف انخدع مرقس الوالى، ولوقته بخر للأوثان النجسة وسجد لها، وجحد إله السماء، وتمادى مع الملك على هذا الحال شهراً من الزمان ثم رجع إلى ولايته بالفرما.

## فى مواجهة العاصف

فلما اتصل الخبر إلى ابنته الست دميانة قامت بسرعة.. وسارت.. واجتمعت بوالدها، فلما رآها فرح جداً برؤيتها لأنه كان له مدة من حين فارقتها، فسلمت عليه وبعد السلام قالت له: كيف يا أبى هذا الخبر الذى سمعته عنك الذى أربع قلبى وبطل فرائصى؟ قال لها: وما هو يا ابنتى! قالت له: سمعت أنك تركت دين المسيح الإله القوى الذى قد خلقتك وأنشاك، وبجرت للأصنام العمى الذين ليس بهم فائدة أحجار وفضة وخشب وذهب مصنوعة بالأيدى قال عنها أيضاً داود النبى يهلكون مع صانعيها وكل من يتوكل عليها. انظر يا أبى إلى فوق، وارفع نظرك وتمثل إلى بهجة السماء، وحسن نظام ترتيب الشمس والقمر والنجوم وكيف قبة السماء.. وما فوقها من ربوات الملائكة النارية، والطقوس العلوية وكرسى العرش المتقد بالنار الجالس عليها الإله القوى الجبار، الذى أرواح سائر الخلائق فى يده، لأنه هو خالقهم، فكيف خطر على قلبك، وفعلت هذا. فاعلم يا أبى إن أنت تماديت على هذا الحال فأنا أكون غريبة منك وأنت غريباً منى فى هذا الدهر والدهر الآتى. وفى يوم قيامة الأجساد أنكرك فى وادى يوشافاط وسط المحكم المهروب، ولا يكون لك حصاة ولا نصيب ولا شركة فى الميراث الأبدى وهذا هو آخر كلامى معك.

## توبة ودموع

وللوقت لما سمع منها أبوها هذا الكلام، فاق لوقته كمثل من يكون سكران ويفيق. ولوقته صرخ بالبكاء والنواح وقال: "ويلى أنا الخاطى على ما استجرت وعملته لأنى جعلت الأحجار اعتمادى، ومساكن



إبليس سجدت لهم. مباركة هي الساعة التي رأيتك فيها أيتها الابنة المباركة، نشلتيني من جب عميق، والآن أنا في هذه الساعة كأنتي في قرار الأرض في ظلمة مدلومة، والآن أنا في هذه الساعة كأنتي على أجنحة الريح وليس لي فكرة ولا شهوة فيما كنت فيه. وأنا مستعد للموت على الاسم المخلص الذي ليسوع المسيح إلهي، به أو من باسمه أحتسب، وعليه أعتمد، وبه أموت، ومعهُ أحيأ إلى الأبد".

وقام بسرعة وسافر قاصداً مدينة إنطاكية، ورجعت الست دميانة.. وكانت تسأل السيد المسيح ابن الله الحي هكذا قائلة: "اللهم ربي وإلهي الذي لا تشاء موت الخاطيء بل حياة كل أحد موجودة من عندك، قووى يارب قلب أبي حتى يموت على اسمك القدوس، ولا تؤخذهُ (توآخذهُ) يا ربي وسيدى بما استجرأه عليك من المخالفة والعصيان وسجوده لصنعة الأيادى لأنك يا سيدى تعلم بعجز وضعف ونقص طبيعة البشر، وليس أحد يخلو من الزل، وعدونا واقف ساهراً كالأسد يلتمس من يبتلعه. وكما خلصت النبي يونان بن أمتاى وأخرجته من بطن الحوت سالماً، يا رب أقبل إليك أبي هذا الذي كان قد ابتلعه الشيطان. فأنا أسألك يا الله أن تثبته إلى أن يسفك دمه على اسمك القدوس لأن لك المجد والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الدهرين.

## إكليل الشهادة

فأما والدها مرقس لما وصل إلى الملك الكافر دقلاديانوس.. دخل أمامه وصرخ قائلاً: ما هذا الانقلاب أيها الملك الذى صرت إليه من عبادة الأوثان، حتى إنك تركت عبادة الإله الخالق رب السموات والأرض الذى أرواح جميع الخلائق فى يديه، وصرت عابداً الأصنام الذين صنعوا من الأحجار والأخشاب جماداً لا بهم نفع قط، ساكنهم شيطان ملعون، ولا يجب لك أيها الملك الجالس على رتبة العالم كله أن تبدل جوهر الاعتقاد بطين الفساد. الاسم الحلو هو يسوع، الاسم المبارك هو يسوع، الاسم الخبي هو يسوع، ثم رشم على وجهه مثال الصليب، وهو واقفاً قدام الملك بحضرة الوزراء، والحجاب، وكل العسكر، والأكابير والأمراء وسائر أهالى المدينة أعنى مدينة أنطاكية، وصرخ قائلاً: آمنت بالآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

أما الملك الكافر.. دقلاديانوس، لما رأى هذا من مرقس الوالى، تغير منظره وتحير عقله واحتبل فى أفكاره، وقال لمن كان حوله: ما هذا الذى دهى مرقس الوالى الكبير صاحبنا، حتى إنه ازدرى بإنعامنا عليه الذى أنعمناه عليه أكثر من كل الولاة، والآن قد أخرج سجاج عزتنا، ولم يُبق لنا سطوة قدام العسكر والجيش الذى سمع هذا الكلام، والآن جميعهم يتشبهون به ويخالفونا، ثم التفت الملك نحو مرقس وقال له: كيف انقلبت يا صاحبنا عن مودتنا وتركت عبادتك لأهتنا التى قد أعطتنا الظفر والغلبة على الأعداء، وازدريت بنا وبما عملناه معك من الإحسان والجميل والمعروف وتكلمت هذا الكلام اللعب. اسرع الآن وفق لعقلك، وتعال أسجد لأبولون

الإله الكبير، وأردميسه أم الآلهة. فاحتّم القديس مرقس الوالى بالروح القدس وزعق صارخاً فى وجه الملك صرخة هائلة قائلاً: اخز الآن.. أيتها الملك.. مع أوثانك النجسة، فإنه ليس إله فى السماء وعلى الأرض إلا يسوع المسيح وأبوه الصالح، والروح القدس ثالث مقدس إله واحد، به آمنت وعلى اسمه أموت ومعه أحياء، والآن لا تعود تسمع منى أيتها الملك كلمة واحدة غير هذا، فاغتم الملك غماً زائداً، وقال لرومانوس وزيره: ما هو العمل فى أمر هذا الإنسان؟ لأنه كان أعز الأوصحاب علينا وهو الآن قد صار عدواً لنا. قال له رومانوس: أما الصحابة فقد نفاها، والعداوة فقد ثبتت فيه. والبائن لى أنه ما عاد يرجع إلى رأينا أبداً، أيتها الملك. والأصلح والأولى أن ترميه بالسيف سرعة، لئلا بسببه تطمع فيك أصحابك ويتشبهون به، ويبطل عملك.

وللوقت كتب قضيته، وأمر بأخذ رأسه بجد السيف، فأخرجوه (إلى) موضع رمى الرقاب بمدينة إنطاكية، وللوقت صلى صلاة طويلة، وبعد صلاته أمر الجند قائلاً: كملوا ما أمرتم به من أمر الملك يا أعوان الظلم لأنكم قد اخترتم لكم نصيباً من أجرة الخطية ردياً يذهب بكم إلى الظلمة. وللوقت أتاه جندى ردى شيرير وضرب رقبتة بجد السيف، فرماها، وصعدت روحه الطاهرة إلى الملكوت بيد الخالق الأبدى، الذى أحبه، وأخذ إكليل الشهادة فى اليوم الخامس من شهر أبيب المبارك وصار يشفع فى الخطاة بركاته المقدسة تشملنا جميعاً إلى الأبد آمين .

فلنعد الآن أيتها الأخوة الأحباء ونخبركم عن السبب الذى أجرى على ذكر القديسة دميانة قدام الملك الكافر دقلاديانوس المعاند، لأنها كانت من أهل الزعفرانة بوادى السيسبان مع أخواتها جميع العذارى ساهرات بالصلوات ليلاً ونهاراً، ولم يكن أحداً يفكر فيهن.

## الفصل الثالث

### آلام وأمجاد

#### حيرة ومشورة

ومن بعد استشهاد والدها -الوالى مرقس- فى ثانى يوم جلس الملك الكافر ورومانوس وزيره إلى جانبه، وهو حزين على مقتل مرقس الوالى. فقال له رومانوس: تعيش أيها الملك إلى زمان طويل، قد بلغنى من صاحب لى، أن مرقس الوالى ما انتنى عن مودتنا وكره آهتنا ورفضها، وترك عبادتنا إلا من ابنة له اسمها دميانة ساكنة بالزعفرانة بوادى السيسبان.. قصرًا مرتفعًا كان قد عمله لها والدها، وصحبتها أربعون عذراء أبكار. لأنها لما سمعت بوالدها أنه أطاعنا، حضرت إليه بالفرما، وأحادثته عن طريقنا، ولهذا السبب كفر بنعمتك أيها الملك..

فلما سمع الملك الكافر ذلك غضب غضبًا شديدًا، وملاه أبوه الشيطان غيظًا زائدًا. وأنه للوقت أمر واحدًا.. من عسكره قائلاً له: خذ معك مئة جندى وامض أنت إلى الوالى، إلى مدينة الزعفرانة بوادى السيسبان، وانظر لى خبير هذه البنت دميانة التى سمعت بها أنها فى قصر عال، ابنة مرقس الوالى، التى أطغت جميع تلك النواحي، وخاصة أقلت أبوها عن مودتنا وخذعته حتى أطاع كلامها وأبطل عبادتنا. والآن امض إليها وخذعها (يقصد أن يساومها)، وقل لها: يقول لك أيضاً الملك ضابط الدنيا كلها متولى كل الرتبة الرومانية والديار المصرية.. مالك أقطار العالم دقلاديانوس، أن تسجدى للأوثان وتبخرى لهم، لأنهم قد أعطونا الظفر على كل الممالك، وتقولى أنت يا أبولون الإله الحق، ويكون كلامك لها برفق وبلطف ومخادعة. فإن هى أطاعت، ابن لها قصرًا ثانيًا يكون أحسن من الأول، وأدفع لها من الأموال ما أرادت، وإن هى أبت ذلك ولم تطع عذبا بأشد العذاب، ولا تدع عذاباً قوياً إلا وتجلبه عليها، وأخيراً تأخذ رأسها بالسيف هى والعذراى اللواتى معها. وفى سفرك من هنا ورجوعك إلينا، لا تدع ممكناً فى العذاب إلا وتجلبه على هذه الأمة، أعنى أمة المسيحيين عابدى المصلوب، لأنى مستعد أن أقطعهم من بلادى كلها.

فلما قبل الأمير وصية الملك الطاغى المارق الردى، قبل يديه وأخذ معه مئة جندى وركب قاصداً المدينة الزعفرانة بوادى السيسبان. وكان كل من وجده فى طريقه من النصرارى يطالبه بعبادة الأوثان، فقتل فى طريقه شهداء كثيرين، لا يحصى لهم عدد، إلى أن وصل إلى الزعفرانة، وضرب خيامه بجربها بجانب قصر دميانة مع العذراى، وكان آخر النهار.

## عزم وقوة

فلما أشرفت الست دميانة من رواشن قصرها وأبصرت الخيام منصوبة، والأجناد والأعوان أيضاً، فألتنفتت إلى العذارى وقالت لهن: يا إخواني تعالين انظرن. فأتين إليها بسرعة، وطلن من طاقات القصر، ثم قلن: ما هذا يا سيدتنا. هذه أجناد ردية. قالت لهن دميانة: هؤلاء من عسكر الطاغى دقلاديانوس المنافق، وهم قاصدون عذاب المسيحيين، وما أظن إلا أنهم أتوا هنا بسببنا. الآن أيتها الأخوات قوموا بنا نصلى إلى السيد المسيح إلهنا، ونسأله أن يقوينا على العذاب وعلى أخذ إكليل الشهادة على اسمه المقدس. فقمن كلهن وصلين، ومن بعد صلاتهن جلسن. فقالت لهن الست العفيفة دميانة: أيتها الأخوات المباركات قال سيدنا يسوع المسيح له المجد في الإنجيل المقدس "فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها" (مت 16: 25)، وأنا الآن أعلمكن من كانت منكن تريد أن تأخذ إكليل الشهادة على اسم المسيح فلتقم هنا، ومن لم تطق العذاب منكن فلتترل سراً وتهرب إلى حال سبيلها.

فلما سمعن العذارى هذا من الست دميانة، صرخن بالبكاء والنحيب الشديد قائلات: كيف يا سيدتنا فكرت في هذا الفكر، أن نفارقك، وأنت السبب في حياتنا، وترك ونمضى إلى العالم الزائل هذا لا يكون منا. والآن الموت الذى تموتى أنت به، نحن نموت به أيضاً معك.

## عرض ورفض

وفيما هن يتكلمن بهذا، وإذا باب القصر يطرق، فأمرت الست العفيفة دميانة واحدة من العذارى أن تتزل لتنظر من هو الذى يطرق الباب، فتزلت واحدة وقالت: من هو هذا الذى يطرق القصر؟ قال لها الأمير: قولى للست دميانة العفيفة الكاملة، عبدك الأمير فلان المتولى من قبل دقلاديانوس الملك المتولى برتبة الروم حاكم على العالم كله، رسلاً من عنده إليك، يكلمك بكلام من عند الملك، فلوقتها طلعت العذراء وأعلمت الست دميانة بما قاله الأمير. فأمرتها بأن تفتح له الباب، فدخل ذلك الأمير وطلع إلى القصر، ودخل إليها إلى القصر فوجدها جالسة وهى تتلألأ بالنور. فقال لها الأمير: السلام لك يا دميانة التى افتخر الملوك بذكرها وبحسنها وشاع واشتهر وعلا قدرها فى كل الممالك والأصقاع. أنا أقول لك يا سيدتى إن الملك يقول لك أن تعبدى آلهته الكرام وتبخرى لهم. لينعم عليك بما تطلبين، ولو يكون نصف مملكته. والآن ها قد جئت إليك أنا الآن بهذا القول المفرح من عنده.

فلما سمعت الست دميانة من الأمير هذا الكلام، قفزت واقفة.. قائلة: .. أما تستحون أن تسموا هذه الأحجار والذهب والفضة والأخشاب الساكن فيها الشياطين آلهة؟! أما لكم عقلاً فهيماً؟ كيف يكون صنماً لا يتحرك يحمله كهنة من مكان إلى مكان تدعونه يا مخالفين أنه إله. ليس إله فى السماء وعلى الأرض إلا يسوع المسيح الخالق مع أبيه الصالح وروح قدسه الأبدى القوى، الملك الدائم المالى كل مكان

الذى لا يحيط به شئ ولا يكيف، الخفى عن العيون، العالم بالأسرار قبل إضمارها، الذى يقهركم يا عباد الأوثان بكأس الموت المر. وبعد موتكم يرميكم فى الجحيم المنتن مخلدين. هناك يكون لكم العذاب الدائم الشنيع فى ظلمة مدهمة ومعكم الشيطان الذى أطعموه.. فى خزي أبدى. أما أنا الآن فى عبدة لسيدى ومخلصى يسوع المسيح وأبيه الصالح والروح القدس الثالث الأقدس به أعترف وعليه أتوكل وباسمه أموت وبه أحيا إلى الأبد آمين.

فلما سمع منها الأمير مثل هذا الخطاب غضب جداً وصارت عينيه تقدح كمثل مشاعل النار، وصار كله غضباً، وصر بأسنانه على القديسة ومسكها ونزل من القصر إلى خارج، وأمر بعذاها:

## 1- رفعها على الهبازين

ولوقت رفعها على الهبازين، وأمر بعصرها بين أربعة رجال أقوياء اثنين مقابل اثنين. فأحست الست دميانة بعظم الآلام، وكانت جميع العذارى واقفات قائمات بجانبها باكيات. فرفعت عينها إلى السماء وصرحت قائلة: أيها الوحيد الجنس الابن الأزلى يسوع المسيح الذى أصعده اليهود على الصليب المقدس مسمراً بين لصين، وكان ذلك بإرادتك، اصعد عقلى يا إلهى من الاهتمام بالجسدانيات التى تشوش العقل إلى تذكارات تدابيرك السماوية، واقبل منى أنا هذا التعب القليل وهو فى الأول على اسمك المقدس. لأن لك المجد والرفعة والشأن الآن وكل أوان وإلى أبد الأبدى آمين. وكان الأعوان أيضاً مجتهدين وتعبوا مما يعصرون. فصار دم القديسة الست دميانة يجرى على الأرض كمثل الماء، وكان الرب يثبت نفسها فيها وهى تتكلم.

فلما رأت العذراء الست دميانة العذارى قيام حولها باكيات قالت لهن: لا تبكين يا أخواتى على، لأن سيدنا المسيح له المجد احتمل عنا الآلام لأجل خلاصنا ومات عنا بالجسد ولم يكن فيه خطية يستوجب بها الموت، بل كان ذلك بالجسد ليخلص آدم وجميع نسله من الجحيم. فإذا كان الإله القادر قبل الموت والصلب بإرادته وهو غير خاطئ، فكم بالحرى يجب على أنا عبده السلوك فى طاعته. لأنى أطلب الموت وأقبله بحلاوة، لأن الرسول بولس الطوباني قال فى رسالته: "فإن أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فىنا" (رو: 8: 18). فلما تعب الأعوان من دوران الهبازين حتى صار عظم القديسة ولحمها كمثل العجين والروح ثابتة فيها تتكلم. فتعجب جميع الحاضرين من ذلك. ثم أمر الأمير أن يودعوها الاعتقال، فأنزلوها عن العصار ورموها فى السجن، وهى فى شدة عظيمة من عظم العذاب.

فيا لكثرة الأتعاب التى تنال الشهداء والقديسين من الكفرة.. عباد الأوثان الأشرار، إلا أن فرح ومجد وملكوت السموات لا يوصف.

فلما قفلوا عليها باب السجن، كانت العذارى عندها باكيات ولم يكلمهن الأمير. ومن الغم نعى العذارى، وكانت الست دميانة فى شدة الآلام. وللوقت نزل لها ملاك الرب ميخائيل، فأشرق النور فى السجن فأعطاها السلام ولمس جسدها بأجنحته النورانية، ولوقتها شفيت من سائر الأوجاع ولم يبق فيه جرحاً واحداً. وأعطاها الملاك السلام وصعد إلى السماء بمجد عظيم.

فلما كان ثانى يوم باكراً، أمر الأمير بإحضار الست دميانة فى مجلس الحكم. فلما مثلت بين يديه، وجدها سالمة، ولم يجد فى جسدها جرحاً ولا خدشاً فيها. قال: حقاً يا دميانة، صناعتك فى السحر جيدة، والآن سوف أبطل أسحارك. وأن الحاضرين حين رأوا ذلك صرخوا فى فم واحد قائلين: تحرق أيها الظالم أنت وملكك الكافر، نحن جميعاً نصارى على الأجهار، مؤمنين بالرب يسوع المسيح إله هذه القديسة العفيفة الست دميانة، وتموت بالموت الذى تموت به هذه القديسة الشابة العذراء عروس المسيح.

فلما سمع منهم الأمير مثل هذا الكلام أمر بأخذ رؤوسهم جميعاً بجد السيف ونالوا أكاليل الشهادة، وصاروا شهداء شفعاء فى الناس، ولم يجسر أحد أن يأخذ أجسادهم بل كانت بجانب القصر، بركاتهم تشملنا إلى النفس الأخير آمين.

## 2-تمشيط جسدها بأمواس حادة وتدليكه بالخل والجير

وبعد ذلك أمر الأمير أن يقدم إليه الست العفيفة دميانة، وأمر بأن يجرد (يمشط) لحمها بأمواس حادة. فلما فعل بها ذلك أعوان الشيطان، وهى صابرة بقوة الرب يسوع المسيح الذى اختارت أن تتعذب وتموت على اسمه القدوس، أمر الأمير أن يدلوكوا جلدها بخرق من شعر الخنزير بخل عتيق وجير من غير طفى، فاشتعلت أعضاؤها من شدة الآلام.

فيا لكثرة الأتعاب التى تنال القديسين الشهداء الأطهار من المخالفين، ولكن فرح ومجد ملكوت السموات لا يوصف.

ثم أخذها الأعوان ورموها فى حبس مظلم، وفيها نفس قليل وحوها أيضاً العذارى باكيات بجزن شديد سراً. فلما صارت فى الحبس وهى فى شدة العذاب والآلام فتحت فاهما المقدس قائلة: اللهم ربى وإلهى خالق السماء والأرض وكل ما فيها الذى طبعه الرحمة والتحنن، الذى بعظم رحمته يسمع دعاء المساكين الذين يدعونهم بقلب نقى، ويقضى حوائجهم فى تدابير خلاصهم. الآن يا سيدى أنا أمتك الضعيفة المسكينة قونى على احتمال سائر العذاب، واعطنى قوة أن أقهر سائر الأعوان المضادين الذين تركوا معرفتك يا إله الحق وأطاعوا العدو المعاند. وأنجو باسمك. واشركنى مع قديسيك والقديسات الطاهرات العفيفات اللواتى كملن قبلى. لأنك أنت إله صالح محب البشر، يليق بك كل مجد ووقار إلى أحقاب دهور الأبد آمين.

فلما أكملت القديسة الست دميانة صلاتها، نزل لها الملاك الجليل ميخائيل، وفرش أجنحته النورانية عليها. فأضاء كل المكان مثل البرق الساطع، فغشى على العذارى من بهجة النور. فكن كمثل الأموات. فقال لها الملاك: سلام سيدى يسوع المسيح وأبيه الصالح والروح القدس يكون معك، أيتها الشابة العذراء العفيفة الكاملة دميانة. ثم لمسها بأجنحته النورانية، فشفيت كأنها لم يكن بها ألم البتة. وصعد إلى السماء وغاب عنها.

فأيقظت العذارى قائلة لهن: قمن يا أخواتى ها الرب قد أرسل إلى ملاكه وشفاني من جميع الأتعاب، فله الشكر منى أنا أمتة الضعيفة لأنه أظهر قوته في كما قال بولس الرسول معلم الكنيسة لسان العطر "تكفيك نعمتى لأن قوتى في الضعف تكمل" (2كو12: 9). وأن الضعف الذى يكون من قبل الله أقوى من قوة الناس الأقوياء. فله الشكر والمجد والسبح والإكرام إلى أحقاب دهور الأبد آمين.

فلما فرغت من كلامها للعذارى، قال الأمير للأعوان: امضوا إلى السجن وأتوني بدميانة إن كانت بالحياة، وإن كانت ماتت ارموها لتأكلها الكلاب، واحضروا بسرعة اعلموني لأقوم بسرعة وأسافر إلى الملك راجعاً، ونرتاح من هذا الهم والتزاع الزائد والمضاربة والتعب. لأن لى مدة وأنا ههنا منذ حين فارقت أنطاكية، لثلاث يشوش علينا الملك من طول الغيبة. فلما مضى الأعوان إلى السجن ليحضروها، وجدوها جالسة وهي تلالى بالنور، تضوى بنور عظيم جداً كضياء الشمس في إشراقها..

فأخذها أيضاً الأعوان وأحضروها إلى الأمير في مجلس الحكم. وكانت تصرخ قائلة: أتيت إليك، أتيت إليك أنت مع أبولونك الحجر وأنا مع سيدى يسوع المسيح.. يا أعداء الله، يا عابدى الأصنام الخائبة. ليس إله في السماء وعلى الأرض إلا إله النصارى: يسوع المسيح، الإله الخالق لكل البريا. الذى شفاني من عذابك أيها الجاحد.. يا أيها الحاضرون هل ما رأيتم حالى في أمس وما كنت فيه من شدة الآلام والأتعاب، والآن ها أنا صحيحة الجسم. شفاني ربي وإلهي ومخلصى يسوع المسيح.

وللوقت صرخ الحاضرون كلهم قائلين: ليس إله في السماء وعلى الأرض إلا إله القديسة الست دميانة رؤوس الجميع. وكانوا جمعاً كثيرة من سائر البلاد المجاورة لهم ولم يجسر أحد أن يأخذ أجسادهم، بل كانوا عند أجساد الذين استشهدوا أولاً بسبب القديسة.. وصعدت أرواحهم إلى الملكوت الأبدى في الحياة الدائمة. وصاروا شفعاء في الخطاة. بركاتهم تشملنا جميعاً آمين.

ثم إن الأمير قال للست دميانة: أما كفاك أيتها البنت القوية (يقصد "الصلبة" أى "العنيدة") الرأس! هؤلاء الخلائق الذين سفكوا دماهم بسببك وصرتى مطالبة بهم، هلكوا كلهم بالسيف. قومي الآن طواعين وأسجدى لأبولون كبير الآلهة، وانظرى إلى حسنه وما أحسن دهانه.

فقال له القديسة الست دميانة: حسناً تنبأ عليك وعلى أمثالك السعيد داود النبي ملك إسرائيل لأنه قال.. : اطلع الله من السماء على بنى البشر فلم يجد من يعمل صالحاً ولا واحداً، حناجرهم قبور منفتحة وألسنتهم غادرة ماكرة وسم الأفاعى تحت شفاهم وفي سبلهم المشقة والشقوة وليس نصب عيونهم خشية الله. وقال أيضاً من أجل أوثانك النجسة "أصنامهم فضة وذهب عمل أيدي الناس. لها أفواه ولا تتكلم. لها أعين ولا تبصر. لها آذان ولا تسمع. لها مناخر ولا تشم. لها أيدي ولا تلمس. لها أرجل ولا تمشي ولا تنطق بمناجرها. مثلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها" (مز115: 4-8)، الذين هم أنتم يا عباد الأوثان.. الرب الإله يخزيكم.

فلما سمع الأمير هذا الكلام، من ساعته تغير لون وجهه لأنه أفتضح جداً وتنهذ قائلاً: آه كادتنى هذه البنت القوية الرأس. ولم أر مثل مكافحتها على أحد من الرجال الأبطال. فسوف يحل بها منا أليم العقاب وأشد العذاب، وأريها ما قد تفوهت به قدامنا وأحزتنا وقلة (قللت) حرمتنا.

### 3-ضربها بمرازب حديد

وللوقت أمر الأعوان فضربوها بمرازب حديد من أقدامها إلى رأسها. ثم وضعوها في دست كبير ووضعوا عليها شحم خنزير وزيت وزفت وعلك. وأوقدوا تحتها بالنار وارتفع اللهب من فوق فم الدست مقدار عشرة أذرع، ولم تمت لأن الرب كان يثبت نفسها فيها. وكانت تسبح تسايح زائدة، ولحمها وعظمها يشعل بكل تعب زائد واشتعال.

فيا لكثرة الأتعاب التي تنال القديسين من المخالفين، ولكن فرح مجد ملكوت السموات لا يوصف. وللوقت نزل رئيس الملائكة ميخائيل من عند الرب وبسط أجنحته النورانية على الخلقين، فهدأت أوهاجه وهيبه، ورفع الست دميانة وأوقفها صحيحة ولم يوجد في جسدها أثر نار، ولا رائحتها في أثوابها البتة. وصعد إلى السماء بمجد عظيم.

فقامت الست دميانة وأتت إلى الأمير وصرخت قائلة: أتيت إليك أنت وأبولونك الحجر الأصم، وأنا وسيدي يسوع المسيح. فالتفت الأمير وقال لجليسه من تكون هذه الصبية؟ ها قد رأينا أناساً كثير عددهم ولم نر مثل هذه البنت في احتمالها العذاب الشديد. والآن عقلى قد احتار من أمر هذه العذراء. وأن جميع الحاضرين صرخوا جميعاً من فم واحد قائلين: نحن نصارى علانية مؤمنين بإله هذه القديسة الست دميانة. وكانوا جمعاً كثيرة. فأمر الطاغى بأخذ رؤوس الجميع. ورميت أجسادهم على أجساد المستشهدين تحت القصر.



ثم التفت الأمير إلى القديسة العفيفة الست دميانة وقال لها ما هي الفائدة الحاصلة لك أيتها الصبية القوية الرأس (يقصد العنيدة الرأس) في قتل هؤلاء الجموع، وتصيرى مطالبة بدمائهم لأنهم بسببك ماتوا كلهم. فكيف تحتملين دماهم؟

أجابته القديسة قائلة: .. إذا أردت أن تدخل إلى ملكك الكافر تقدم قدامك هدايا ليكون دخولك مقبولاً عنده، فكم بالحرى يجب على أن أقدم هدايا ناطقة، ذبائح مقبولة، أصعدهم إلى السماء. وهم الآن قدام منبر المسيح إلهنا الخالق منتظرين إلى أن أحققهم في خير ونعمة. وأنا أسأل من إلهي القدوس الحي القادر القاهر أن يكملني مثلهم وأحظى بالاجتماع بهم في ذلك الدهر العتيق.

فتعجب الأمير ومن معه من حكمة الصبية العفيفة دميانة والنعمة الحاله عليها، وفصاحة لسانها وكلام معقولها وتميزها الحسن، للوقت أمر بحبسها في السجن حتى يفكر ماذا يصنع بها؟ ثم بعد يومين أمر الأمير بإحضارها. فلما حضرت قال لها الأمير: مرحباً بالست دميانة العفيفة، شريفة الحسب، كريمة الأصل التي تكلم الناس بفضائلها. أما طاب قلبك يا ستي أن تسجدي للآلهة وتخلصي من هذا التعب كله. فلما سمعت هذا قالت له: أيها الطاغى، إن الحكيم لا يقبل المديح والسبح الباطل الفارغ. وسيدنا المسيح له المجد قال في إنجيله المقدس وهو أصدق القائلين: "ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً" (لو 6: 26) فاعلموا إنكم قد أخذتم أجرتكم، وأنا الآن لا أطيع مشورتك الردية لأن آخرتما سم الموت، لأن الخطية ترى حلاوة ولذة يسيرة، فأما عاقبتها فإنها تؤدي إلى جهنم القصى، فأما أنا فأسأل إلهي أن يخلصني من محبتها. أما كففاك.. وما ارتدعت بما فعله معي إلهي من العجائب القوية؟! أين هي قوة إلهك.. الذى لا يقدر أن يتحرك من موضعه. كيف يقدر أن يعين غيره؟! اخز وافترض الآن أيها الجاهل.. إلهي أنا؛ ضابط أقطار الأرض، ورافع استدارة السماء بغير عمد منه وبه. لا أحد يكيف حكمته. له المجد والرفعة منى إلى آخر دهور الأبد آمين.

فلما قالت هذا الست دميانة صار الأمير فى قلق عظيم وتهد من صميم قلبه.

#### 4- تقوير رأسها وقلع عينيها

وبسرعة أمر الأمير أعوانه خدام الشيطان، فقوروا رأس العفيفة الست دميانة بقادوم النجارة. وسبكوا رصاص وأذابوا زيت وزفت وعلك بالنار، ووضعوه فى مكان التقوير. ثم إنهم قلعوا عينيها، ثم سلخوا باقى جلد رأسها إلى أكتافها، وصبوا عليها من ذلك الزفت والزيت والعلك المغلى. فأحست الست دميانة بشدة الآلام.

فيا لكثرة الأتعاب التي تنال القديسين والشهداء من الكفرة، ولكن فرح مجد ملكوت السموات لا يوصف.

وكان الرب يثبت نفسها فيها فصرخت قائلة: يسوع هو إلهي، يسوع هو رجائي، يسوع قوة رجائي وخالصي، يسوع ملكي. أيتها الممتلئة نعمة ومجد؛ أم النور الإلهي مريم سيدتي القديسة اشفعي في سائر شعبك. قالت هذا وخرجت روحها من جسمها.

وللوقت نزل عليها طير حمام أبيض من السماء وصار يرفرف على رأسها وعينها بأجنحته. ولوقتها هضت قائمة صحيحة من غير ألم، صحيحة العينين سالمة البدن والدماع، وليس بها ألم قط. ثم طارت الحمامة إلى الجو وغابت عن أعين الحاضرين. وأن كامل الناس الذين كانوا وقوفاً هناك لما رأوا الآيات العظيمة صرخوا قائلين: المجد لله في الأعلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة. الإله الأبدى مظهر العجائب في قديسيه الذي خلّص هذه القديسة العذراء دميانة من الموت والعذاب. ثم صرخوا نحو الست دميانة قائلين: المجدينا.. واطلبي من السيد المسيح إلهك يقوينا لنأخذ الشهادة على اسمه القدوس. فقالت لهم الست دميانة: أنا أسأل من إلهي أن يعطيكم قوة لتخلصوا من أتعاب المخالفين، وأحظي بالاجتماع معكم في ذلك المكان الرفيع شأنه الدائم سلطانه. ولوقتهم قبلوا يديها ورجليها وتقدموا إلى المحكم وصرخوا قائلين: تحرق أنت أيها الكافر وملكك المضل للعين وأوثانك النجسة التي ليست لها قوة تفعلها. ونحن الآن نسارع على الأجهار مؤمنين بسيدنا يسوع المسيح. وأن الأمير بسرعة أمر بأخذ رؤوس الجميع بحد السيف. وكانوا كثيرين جداً ونالوا إكليل الشهادة في ملكوت السموات، وعيدوا مع المسيح الذي أحبوه وسفكوا دماءهم على اسمه المقدس أول يوم من شهر طوبة. وصاروا شفعاء في الخطاة بركاتهم تشملنا إلى الأبد آمين.

وبعد ذلك قال الأمير لجليسه خذ هذه الصبية القوية الرأس التي اخربت علينا هذه البلاد كلها وجرت هؤلاء القوم كلهم للإيمان بالمصلوب فقتلناهم أكابر ونساء ورجال، اجعلها في حبس مظلم واقفل عليها بالأقفال الضابطة بغير أكل ولا شرب، ودع عندها صاحباتها هؤلاء العذارى.

ثم التفت الأمير إلى العذارى وقال لهن: قلن لصاحبتيكن دميانة تطيعنا أحسن من هذا الخلاف لئلا يحل بها منا أليم العقاب وأشد العذاب وتنال شروراً رديئة. فساقهن السجان وأدخلهن حبساً مظلماً وقفل الأبواب عليهن. فلما حصنن داخلًا انتصبن جميعهن للصلاة. وللوقت أشرق النور في المكان وصار كمثل ضوء الشمس.

وبعد عشرة أيام قال الأمير لأعوانه: جيبوا البنت دميانة، لعلها تكون قد انثنت عن سوء رأيها لتعبد آلهتنا ونرتاح نحن وهي من هذا التراع والانزعاج كله. فكل هذه الخلائق متعلقين بها لأنهما أقلقت علينا هذه البلاد كلها.

وللوقت مضوا ليحضروها. فلما فتحوا الباب فأضاء النور في وجوههم. فوقعوا على أقدام الست دميانة وقالوا: ياسيدتنا الأمير يدعوك: فقامت للوقت وهي تقول في الزمور: "كثيراً ما ضايقوني منذ شبابي.."  
(مز129: 1-8). فلما مثلت بين يدي الأمير بحضرة أجناده وأعوانه كلهم، قال لها: أيتها الست العفيفة

دميانة طاوعيني الآن واسجدي للآلهة التي للملك، لأدفع لك أيضاً كرامات كثيرة. قالت له القديسة الست الطاهرة دميانة: لقد حار عقلي من جهلك، لأن كلمة واحدة تكفى العاقل، وأنا الآن لى مدة أقول لك: إني لم أعبد آهتك النجسة وقد أوليتنى عقاباً شديداً وإلهى يشفينى. تحرق أنت وملكك الكافر. الردى الجاحد الطاغى.

## 5- تقطيع أعضائها وإلقاؤها للوحوش

فلما سمع منها الأمير مثل هذا الكلام، أمر بسرعة أن تشحط (تُشَد) بأربعة أوتار طوال وتقطع أعضاؤها. ولوقتها وقتت نحو الشرق<sup>(3)</sup> هى والعدارى وصلت قائلة: يا إله القوات المسيح إلهنا قوين يا سيدى على احتمال هذا العذاب على اسمك القدوس، لأنك أنت إله الحق، إله مبارك، وبك يليق المجد والإكرام الآن وكل آوان وإلى الأبد آمين.

فلما فرغت من صلاحها، التفتت إلى العذارى وقالت هن اذكرنى يا أخواتى فى صلواتكن لكى يقوينى المسيح إلهى على احتمال هذا العذاب.

ثم تقدمت للأعوان خدام الشيطان وقالت لهم: ما بالكم وقوفاً وأنتم بطالين. اعملوا ما أمركم به سيدكم يا أعوان الظلم. ولوقتها شحطوها بالمقاط والسلاسل فى الأوتاد وقطعوا أعضائها جزءاً جزءاً كمثل جزل السمك. فأسلمت روحها للوقت.

فأمر الأمير أن تُرمى للوحوش. فمكثت مرمية للوحش والطيير الكاسر يوماً وليلة، ولم يقربها الوحوش، بل كان الوحش محيط بها والطيير حائم عليها، وهم ضجة وزعيق من شدة البكاء كمثل من له حبيباً وحيداً يبكى عليه. وكانت العذارى وسائر الحاضرين وقوفاً من بعيد يبكون.

## ظهور المخلص لها وإقامته لها من الموت

وللوقت أُرعد الرب من السماء رعداً قوياً وزلزلة حتى أن الحاضرين وقعوا كالأموات ونزل رب المجد السيد المسيح الإله على مركبة الشاروبيم<sup>(4)</sup> والست السيدة العذراء جالسة عن يمينه<sup>(5)</sup> ورؤساء الملائكة يسبحون تسبيحاً لا ينطق به. وصرخ المخلص له المجد نحو أعضاء ولحم القديسة الطاهرة دميانة قائلاً:

<sup>3</sup> هذا يوضح أن الصلاة نحو الشرق هو نظام قدم عند المسيحيين.

<sup>4</sup> هذا نوع من الظهور وليس مجيئاً للرب لأنه دخل إلى الأقداس مرة واحدة إلى أن يأتى فى مجيئه الثانى فى اليوم الأخير.

<sup>5</sup> وهذا أيضاً ظهور للسيدة العذراء بروحها فقط لأن جسدها محفوظ إلى اليوم الأخير وقيامه الأموات.

لك أقول أيتها الابنة المباركة دميانة قومي من غير فساد (يقصد من غير جراح). وللوقت قفزت كأنها كانت نائمة وسجدت للمخلص.. فقال لها المخلص: تقوى أيتها المختارة دميانة، هوذا قد أعددت لك ثلاثة أكاليل لعرسك السمائي في فرحى الدائم. وقد بقي لك تعباً قليلاً في هذه المرة الواحدة، وتأخذين تاج الفرحة، الأجر التام بسفك دمك بالسيف. وهوذا أنا أجعل لك صبيته شائعاً بالعجائب والقوات في هذا الموضع الذى أنت فيه. يُبنى لك فيه كنيسة على اسمك ويتقاطر كل الخلائق من كل مكان إلى الزيارة لبيعتك، ويكون فيه غفران الخطايا باسمي، واسم والدتي العذراء، واسمك. ويكون ذكرك إلى آخر وقت ذائع. وتحل بركتي وبركة والدتي العذراء في هذا المكان إلى الأبد.

فلما قال السيد المخلص هذا الكلام للست العفيفة دميانة، قواها وأعطاهما السلام، وصعد إلى السماء بمجد عظيم. فسجدت القديسة للمخلص على الأرض.

ثم أيقظت العذارى وبقية الحاضرين ومضت مسرعة إلى الأمير في مجلس الحكم، وكان جميع أهالى البلد حاضرين، ومن بلاد البرلس أيضاً والبلاد المجاورة للزعفرانة، صرخت صرخة عظيمة وسط الجميع قائلة: "المجد لله فى الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" (لو2:14). اخز أنت أيها الأمير وافتضح لأن سيدى ومخلصى يسوع المسيح قد أقامنى من بعد ما قطعنى مثل جزل السمك، ودقيت أيضاً عظمى بالفؤوس، وهوذا أنا الآن واقفة صحيحة العقل سالمة البدن.

## استشهاد القديسة العفيفة دميانة

وللوقت لما رآها كل الحاضرين صرخوا كلهم قائلين من فم واحد: اخز.. وافتضح يا منافق (المقصود هو الأمير)، نحن نصارى مؤمنون بiale هذه القديسة الست دميانة. فقال له جليسه: كيف ونحن لنا مدة نعانده ونقاوم هذه الصبية.. ولا قدرنا عليها نُطَيِّعَهَا، ولا قدرنا أن نمتيتها، ولا هداً سرنا منها ساعة واحدة، ونحن نضاربها، وهى ثابتة، وأنا أعرف أن هؤلاء القوم أعنى النصارى أقوياء على احتمال العذاب، والآن أيها الأمير أنا أشير عليك بمشورة تريحك، اسمع منى وخذ رأسها بمجد السيف، ونقوم بسرعة نتوجه من هذا الموضع إلى الملك لأجل خدمتك لئلا بسبب تأخرك هذه المدة عن الملك يحصل لك الإهانة منه.

فأعجب الأمير بهذه المشورة، وللوقت كتب قضيتها هى والأربعين عذراء وسائر الذين آمنوا أيضاً وكانوا كثيرين جداً. وأخرجهم الأعوان بحرى مدينة الزعفرانة وأخذوا رؤوس الجميع بمجد السيف. وكان عدد الذين أخذوا الشهادة بسبب هذه القديسة دميانة من ابتداء أمرها إلى كمال جهادها أربعمائة نفس. وصعدت أرواحهم إلى فردوس النعيم وصاروا شفعاء فى الخطاة<sup>6</sup> قدام الله الذى سفكوا دماءهم على اسمه القدوس.

<sup>6</sup> هذا يدل على أن الإيمان بشفاعة القديسين التوسلية هو عقيدة ثابتة منذ القرون الأولى للمسيحية.

وكان يوم شهادة هذه القديسة الست دميانة عروس المسيح فى ثالث عشر من شهر طوبة المبارك ونالت ثلاثة أكاليل نورانية واحد لأجل بتوليتها، وواحد لأجل عذابها، وواحد لأجل سفك دمها الطاهر بالسيف بركاتها تشملنا جميعاً إلى النفس الأخير أمين.

ثم ركب الأمير بسرعة هو والجنود، وسافر قاصداً مدينة أنطاكية، ولم يبيتوا تلك الليلة. فلما علم الشعب المؤمنون بشهادتها، أتوا من كل البلاد المجاورة لها وأخذوا جميع الأجساد ورصوهم مثل خلايا النحل<sup>(7)</sup> وتركوا أمرهم إلى حين انقضاء زمان الاضطهاد..

---

<sup>7</sup> ( أى فى عيون للدفن على طبقات متتالية.

## الفصل الرابع تاريخ الدير

كانت منطقة شمال الدلتا عامرة بالأديرة القديمة والكنائس الكثيرة المنتشرة في كل مكان. ومن هذه الديارات دير القديسة دميانة بالبرارى، تلك الرقعة من الأراضي التي كانت تتبع قديماً جزءاً من مقاطعة مصرية تسمى إقليم البرلس والزعفرانة بوادى السيسبان. وسمى الإقليم بالزعفرانة حيث اشتهرت هذه المنطقة بزراعة أنواع نادرة من الزعفران والحشائش العطرية الغالية القيمة. والزعفران اسم لنبات يسمى في المصطلح اليوناني واللاتيني السيسبان. وحالياً يقع إقليم البرلس في شمال الدلتا.

وعن مركز بلقاس وهو الذى تتبعه منطقة دير القديسة دميانة، فيقع جغرافياً غرب فرع دمياط (للنيل) في محافظة الدقهلية وتبعد عنه قرية القديسة دميانة في منطقة بلقاس خامس، والتي تسمى ببرارى بلقاس نحو 12 كم.

وتسمية المنطقة بالبرارى ترجع إلى أن أجزاء كبيرة من هذه المنطقة كانت أراضي بور خالية من الزراعة وبعضها أراضي منخفضة عن مستوى البحر وكانت تغمرها المياه وتكسوها النباتات المائية وخصوصاً كلما اقتربت من بحيرة البرلس.

أثناء زيارة العائلة المقدسة لوطننا الحبيب مصر، مرّت بمنطقة البرلس -آتية من سمبود- حيث منطقة البرارى التي أريقت فيها -فيما بعد- دماء القديسة دميانة والأربعين عذراء. ولقد تقدّست هذه المنطقة وتباركت بهذه الزيارة.

في القرن الرابع (بعد ثلاثة قرون من الزيارة المباركة للعائلة المقدسة)، نشأ الدير بحرى مدينة الزعفرانة التي كانت بمثابة عاصمة لمنطقة البرلس وبها كرسى أسقفى، سكن فيها والدا القديسة. وكان والدها مرقس هو الحاكم عليها.. وبني فيها قصراً للقديسة دميانة لتتعبد فيه خارج مدينة الزعفرانة بحرى البلد. وبعد استشهاد القديسة دميانة مع العذراى دُفنت أجسادهن في المكان الذى تعبدت فيه، إلى أن جاءت الإمبراطورة هيلانة أم الملك قسطنطين و بنت مقبرة خاصة بهن وكنيسة على هذه المقبرة وذلك أثناء قيامها ببناء كنيسة القيامة بأورشليم. ثم طلبت من القديس ألكسندروس بابا الإسكندرية التاسع عشر (313-326م) تدشين هذه الكنيسة فقام بتدشينها ورسم أسقفاً للمنطقة لأن أسقفها كان قد استشهد مع القديسة دميانة.

وفي القرن السادس، في عهد الأنبا يوحنا أسقف البرلس-زمن البابا دميانوس الـ35 (563-598م)<sup>8</sup> كتب مخطوطة تشمل تتابع أحداث سيرة القديسة دميانة، وخبر تكريس كنيسةها في اليوم الثانى عشر من شهر بشنس في أيام قسطنطين الملك. ثم بعد ذلك عندما أعيد البناء في أيام الخليفة سنان.. وتوجد نسخ من هذه

<sup>8</sup> من كتاب الخريدة النفيسة الجزء الثانى صفحة 43

المخطوطة في مكتبة دير القديسة دميانة: [نسخة يعود تاريخ نساختها إلى سنة 1449ش، أى سنة 1732م، أى أنها نُسخت منذ حوالى 273 سنة ميلادية. ونسخة أخرى يعود تاريخ نساختها إلى سنة 1498ش، أى سنة 1781م، أى أنها نُسخت منذ حوالى 224 سنة ميلادية].  
وهذه بعض مقتطفات مما قد وجدناه مكتوباً في هذه المخطوطة يشمل تاريخ الدير:

## الملكة هيلانة وكنيسة القبر

وهلك دقلاديانوس.. ومملك الملك.. قسطنطين.. فأمر ببناء البيع وهدم السراب بكل مكان، وأن يجمعوا جميع الأجساد التي للشهداء إلى البيع وتكون النفقات من السلطنة، ورُتب لهم أرزاقاً لتصرف عليهم. فلما كان في بعض الأيام جرى خبر القديسة الست دميانة في مجلسه، وما جرى لها وكيف احتملت شدة العذاب القاسى مدة طويلة صابرة حتى أخذت إكليل الشهادة بالزعرانة بوادى السيسبان، وبدأ كل من كان بمجلسه أن يخبره بما صنعت من العجائب والآيات. ولوقت جهّز والدته المباركة هيلانة وقال لها: قومي خذي أكفاناً غالية وكساوى مثمنة، وتوجهي إلى أن تصلى إلى الزعرانة بوادى السيسبان وابني هناك كنيسة للست العفيفة دميانة ومن معها من العذارى الشهداءات. ولوقت جهّز لها عسكرياً، وسافرت إلى أن حضرت إلى ذلك القصر، فوجدت الأجساد على بعضهم كمثل خلايا النحل المرصوص ولم يصبها بؤس من وحش ولا من طير. فدخلت الملكة وتباركت منهم، وأتت إلى السلم وصعدت إلى القصر فوجدت جسد الست دميانة.. فقبلتها وتشفعت بها وبأجساد الشهداءات العذارى الأربعين، لأنهن كن حول جسدها في القصر منفردات عن أجساد الشهداء. ثم كفنّتهم بأكفان حسنة جميعهن، ثم كفنّت الست دميانة بكفن غالى القيمة، وجمعت الصناع وكل المهندسين.. وبنّت.. قبواً ماكناً في الأرض، بكل بناء وثيق حسن.. ووضعت سائر الأجساد (أجساد الأربعين عذراء) تحت القبو مرصوصين كما كانوا تحت القصر أولاً، وعملت للست دميانة تحناً في ذلك القبو بترتيب حسن جداً، ووضعت جسدها عليه، وعملت عليها ستارة سترّاً حريراً.. مرقوماً بالذهب الأحمر، وبنّت فوق القبو كنيسة لطيفة بقبة واحدة صغيرة، وكرّسها الأب البطريك أنبا ألكسندروس بطريك الإسكندرية التاسع عشر في اليوم الثاني عشر من شهر بشنس.

## تعيين أسقفاً للدير

وقسم لها أسقفاً قديساً لأن أسقف المدينة كان قد أخذ الشهادة مع الست دميانة من جملة الشهداء المستشهدين في ذلك الموضع، ورتب لها كهنة وشمامسة وخداماً بالصلوات ليلاً ونهاراً هذا ما وجدناه أولاً<sup>(٩)</sup>.

<sup>٩</sup> ومنذ ذلك الحين أُقيم أسقف للمنطقة لخدمة البيعة ومعه رهبان ورُتب لهم قلالى للسكن فيها.

## الساحر وهدم البيعة

ثم إننا بعد مدة طويلة وجدنا خبراً ثانياً، فاخترنا أن نجتمع ههنا ليكون تلواً لهذه السيرة المتتالية على أسماعكم:

وهو أن لما كان مدة من الزمان وتمادى الأمر في رفع القرابين والصلوات والقداسات بذلك المكان في تلك البيعة المذكورة وكثر الناس بالزيارة لها والنذور والشموع والبخور وعلا صيتها، وتقاطرت الناس للزيارة لها من سائر البلاد المجاورة لها بالتردد فيها والتعييد بسبب الآيات والأعاجيب الحاصلة منها واستقر ذلك، إلى أن دخل ملوك العرب إلى بلاد مصر وملكوها.

وفي سنة المائة والعشرين لدخول العرب إلى البلاد، كان ملكهم ذلك الزمان يسمى سنان الخليفة بمصر. كان من دولته رجل رديء جداً قد تعلم صناعة السحر وفاق في الشيطنة على كل أهل زمانه. وكان اسمه يونس، كان قد جاء في بعض الأيام فيما هو مجتاز بالزعفران وجد هذه البيعة اللطيفة. فأحب أن يمكث هناك. ولوقته وساعته أحضر بنائين وهدم تلك البيعة، وعملها قصراً عالياً<sup>10</sup>. ولم يكن يعرف القبو الذي تحتها الذي فيه أجساد الشهداء، لأن الله.. أخفى معرفته عنه، كما قال الملك داود النبي ملك إسرائيل في المزمور "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مز34: 7)..

نزلت المياه بسرعة وهدمت تلك البلاد كلها، وهدمت القصر الذي ساكنه ذلك الساحر<sup>11</sup>، وارتدم في البناء ومات أشراً ميتة، غريقاً رديماً. ونزلت نفسه إلى قاع الجحيم مع الشيطان الذي كان يفعل مراده. وأحرب الماء سائر الأماكن والمدائن والبلاد، وكان كالطوفان الذي كان في أيام نوح البار<sup>12</sup> وأتت المياه إلى حد حائط كنيسة سمود التي على اسم الست السيدة المسمية صهيون بالجانب الغربي عند القلعة القديمة.. ونزل الماء المالح في البحر (نهر النيل) من سمود فصار مالحاً.

## اليهودى والوشاية

وأن الخبر اتصل بالخليفة.. سنان، بأن سائر البلاد خربت من جهة الجسر الذي انقطع. فحزن حزناً شديداً، واغتم غمماً زائداً على ما كان يحصل له منه من الأموال والأرزاق من تلك البلاد، لأن هذا الإقليم كان يثمر الزعفران وسائر الحشائش العطرة الغالية القيمة، ويحصل للسلطنة من الأموال الجزيلة شيئاً كثيراً. وفيما هو مفكر فيما يصنع وكان محتاراً في أمره، وكان في ذلك الوقت رجل من أكابر اليهود كان يحضر عند

<sup>10</sup> المرة الأولى لهدم البيعة التي قامت ببنائها الملكة هيلانة وقام الساحر يونس ببناء قصر على مكائها.

<sup>11</sup> هدم الرب القصر الذي بناه الساحر عن طريق المياه. وسُعيد بناء البيعة مرة ثانية كما سنرى بعد ذلك.

<sup>12</sup> حدث في أيامنا هذه طوفان مماثل في جنوب شرق آسيا من المحيط؛ اسمه (تسونامى) بسبب زلزال في قاع المياه. وهدم ما لا يحصى من المباني. وغمرت المياه مساحات كبيرة من تلك البلاد، وتسببت في قتل مئات الآلاف من سكان تلك المناطق. وكان الدير قد تهدم أيضاً في القرن السادس بطوفان مماثل وأعيد بناؤه.



الخليفة فى أكثر الأوقات بالقلعة لأجل ضبط أموال السلطنة.. قال له: يا أيها الملك.. لا يدخل على قلبك همّ من أجل هذا يا ملك الزمان، أرسل واحضر بطرك النصرى القبط، وإلزمه بهذا الأمر وهو يرّد كل شىء لأصله (13)..

فقال الملك سنان لأعوانه، امضوا بسرعة واحضروا لى بطرك القبط. فلما حضر الأب البطريرك<sup>(14)</sup> قال له الملك سنان: يا بطرك أريد منك أن ترد هذه المياه التى أحرقت البلاد، وتعمل الجسر كما كان أولاً، لأن أناساً أعلمون أنك تقدر على ذلك.. ثم قال الخليفة للأب البطريرك اسرع بهذا فى الغد. قال له الأب البطريرك وهو حزين: إمهلىنى يا مولائى الخليفة. قال له الخليفة: قد أمهلتك ثلاثة أيام. وأن الأب البطريرك قبّل الأرض قدامه ونزل من القلعة، وقد أحاط به وبكل الشعب شدة الحزن بسبب هذا الأمر.

## صلاة واستجابة

وأن الأب القديس الراعى الصالح أبونا الأب البطريرك دخل إلى بيعة الست السيدة العذراء بمصر وقال للخدام أقفلوا علىّ ولا أحداً منكم يفتقدنى إلى كمال ثلاثة أيام، وأقام يصلى فى الكنيسة المعلقة قدام أيقونة الست السيدة أم الحياة ثلاثة أيام بلياليها؛ وكل آخر صلاة يقول صارخاً نحو القوية: يا شفيعة ومنجدة لمن التجأ إليها، يا خادمة السر ومعاينة الإله الكلمة، والدته بالجسد، لأجل خلاصنا يا أم النور الحنونة، أيتها العذراء الطاهرة؛ خلصى شعبك من هذه التجربة العظيمة، وثبّنى ببعتك، ولا تفرّحى فىنا الأعداء، لتلا يقول المخالفون أين إلههم، وصار على هذا الحال إلى كمال ثلاثة أيام بلياليها. وفى آخر الليلة الثالثة كلمته العذراء الطاهرة من أيقونتها المقدسة قائلة: لا تخف أيها الراعى الصالح افرح، فإنى معك، وباكر يحضر إلى عندك رسل الحاكم وبأخذونك إلى عنده، فلا تزعج ولا تقلق ولا يدخلك وهم، لأن ابنى الحبيب قبّل طلباتك ودموع كل الشعب. وفى توجهك تجد إنساناً تفاحياً، رجلاً فاضلاً على رأسه مشنة وهو قديس صفى مختار، قد أرضى ابنى الحبيب فى سائر تصرفه، خذه معك غضباً عنه وتوجه به، وأنا أجعل الماء راجعاً إلى مستقره الأول. سلام ابنى الحبيب وقوة أبيه الصالح والروح القدس يكون معك آمين. فلما قالت آمين سكت الصوت.

فلما كان الصباح أتى رسل الحاكم فأخذوه. وفيما هو ماضٍ معهم وجد ذلك الرجل التفاحى الذى أعلمته عنه الست الحنونة السيدة أم الحياة، فمسكه الأب من ورائه من قبة ثوبه؛ والتفت الرجل فرأى الأب البطريرك فخر على الأرض ساجداً له بوجهه، فأقامه السيد الأب البطريرك وقال له: قم يا ابنى. وبارك عليه، ومسكه بيده ومشى. فقال له ذلك الرجل التفاحى: إلى أين ماض يا أبى؟ قال له الأب البطريرك: حيث أمضى أنا أنت

<sup>13</sup> بقصد الإيقاع بالأقباط بدعوى أن ما ورد فى الإنجيل عن نقل الجبال بالإيمان غير قابل للتطبيق فى واقع الأمور.

(14) البابا خائيل الأول البطريرك (46).

معى. قال له ذلك الرجل: وما هو عملى معك يا أبى، وأنا أخطأ سائر العالم كله؟ دعنى أمضى لأبيع ما معى وادع لى. قال له الأب البطريرك: يا ابنى لا ترح من ههنا من قصاد (أمام) عينى. وأن ذلك الرجل التفاحى أراد أن يهرب فربطه الأب البطريرك بصلاة، فمشى معه وترك المشنة فى دكان أحد معارفه. فلما قربوا من القلعة، طلع الأب البطريرك إلى عند الخليفة، وقال له السلام لك بأدب وتأخر (تواضع). فقال له الخليفة: ماذا قلت يا بطرك فى توجهك إلى بحرى وترد الماء الذى أهلك الناس وأخرب البلاد، لأن من حين وقع هذا الأمر لم أهنأ بنوم ولا بطعام، ولأن الأموال التى كانت تغل من هذه الأرض أكثر من كل الأقاليم، فماذا قلت. قال له الأب البطريرك: السمع والطاعة يا مولانا الخليفة، بقوة الله نمضى، والذى يفعله هو الذى يكون. قال له الخليفة سنان: وأنا أيضاً أركب معك، ولوقته وساعته هياً الخيل، وركب سنان الخليفة ومعه بعض عسكره..

وأما هو فصار، هو والأب البطريرك وأكثر نصارى مصر تابعين للأب البطريرك، وصاروا كلما اجتازوا ببلد فيها النصارى، تخرج نصارتها منها يرافقون الأب البطريرك حتى صار جمعاً كبيراً. وعدوا (جازوا) من على بنها العسل إلى البر الغربى ونزلوا وضرَبوا الخيام للخليفة، وبات هناك إلى الصباح.

ثم صبحوا فسافروا إلى أن أتوا إلى سمْنود، وضرب الخليفة خيامه فيها على البحر بجانب الكنيسة المسمية صهيون. ولما رفع الملك عينيه ورأى الماء كمثل الطوفان اغتم جداً. وفى تلك الليلة دخل الأب البطريرك إلى البيعة، وقدم الصلوات وصار يصلى هو وكل الكهنة والشعب بطول الليل إلى إشراق النور، وقدموا القُداس وأخذوا (أى تناولوا) من السرائر المقدسة جسد السيد المسيح ودمه الكريم. وسرح الأب كامل الشعب وخرج ووقف قدام البيعة من خارج والملك راكب. وصلى هو والكهنة وسائر الشعب وراءه، ثم رفع الشعب أصواتهم بالصلاة ورفع الأب البطريرك يده بالصليب المقدس وصرخ جميع الحاضرين من فم واحد: كيريا لىصون.

## الأعجوبة ورفع المياه

وكان الرجل التفاحى المبدأ بذكره واقف خلف الأب البطريرك. وللوقت ارتفعت المياه إلى فوق مقدار أربعين ذراعاً، وصار الماء هارباً مطروداً قدام الناس إلى بحرى، والأب البطريرك وخلفه الرجل التفاحى وجماعة من الكهنة والشعب جميعه والملك وعسكره تابعين له، إلى أن أتوا إلى الدميرتين<sup>15</sup>. وكان الوقت قد أمسى فزلوا فى الجزيرة، وضرَبوا الخيام فيها للملك وسميت جزيرة سنان إلى اليوم.

ثم من هناك ركبوا كالأول وقامت المياه هاربة قدامهم إلى أن أتوا الزعفرانة بوادى السيسبان، فضرَبوا الخيام للملك جانب القصر المهذوم<sup>16</sup> الذى تحته جسد القديسة دميانة وجميع الشهداء، ثم جلس الملك فى الخيام.

<sup>15</sup> ذكرت دميرة كأحد المواضع التى عبرت عليها العائلة المقدسة وقال السيد المسيح لأمه القديسة مريم العذراء "سوف تغمر المياه هذه الأراضى".

<sup>16</sup> المقصود هو القصر الذى بناه الساحر بعد هدمه للكنيسة.

وأما أبونا الأب البطريك، فإنه صلى في ذلك المكان وسجد على الأرض ورفع يده بالصليب، فهربت المياه كالأول والأب والكهنة يمشون ورائه إلى مسافة بعيدة، والماء مطروداً قدامهم يجرى كمثل جرى السحاب في الريح الشديدة؛ الله العارف أنه هرب مقدار مسافة عظيمة.

ثم التفت الأب البطريك إلى ورائه فلم يجد معه سوى ذلك الرجل التفاحى المبدأ بذكره، وخمسة كهنة لا غير، وبقية الخلائق عادوا من التعب ورجعوا، فقال الأب البطريك للذين معه: كفانا يا أولادى إلى ههنا. ثم وقف هو ومن معه وصلى قائلاً: اللهم يا الله يا ضابط الكل أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح خالق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. الذى يعرف ما فى الأعماق وهو جالس فى محل شرف قدسه، الذى أحاط اللجج وأجمها بالرمل ساجاً لتلا يغرق العالم. الآن يا سيدنا اقبل إليك طلباتنا نحن المساكين وأوقف هذه المياه، وأجعل لها ساجاً كما كان أولاً. لتظهر هذه الأعجوبة باسمك أيها القدوس الأبدى، ويصير جسراً مانعاً للمياه القوية، لأنك أنت الذى تخافك سائر الخلائق والقوات وتطيعك كل الطبائع وتخضع لك كل القوات، ولك يجب كل مجد وإكرام الآن وكل آوان وإلى الأبد آمين.

فلما فرغ الأب البطريك من صلاته وسجد على الأرض هو ومن معه، كانت فى تلك الساعة أعجوبة عظيمة وآية شديدة لا يجب أن نسكت عنها.. تذهل عقول من يراها، وذلك أن الله الأبدى السامع دعاء الصالحين ومخلص الكثير من الخطاة بطلبات القليل من الأبرار، أثار فى تلك الساعة ريحاً شديدة فى البحر المالح، فارتفعت الأمواج جداً جداً، وأخرجت رملاً كثيراً أكواماً أكواماً، وبقدرة الإله سبحانه صار الرمل جسراً أحسن من الأول. ثم هدأت الريح كأنه لم يكن. فانثنى الأب البطريك راجعاً، وهو مجدداً لله وشاكراً لاسمه القدوس.

## الملك وبناء البيعة

وفيما هو متوجهٌ مقبلٌ إلى أن حضر قدام الخليفة، وسمع به.. قام الخليفة بسرعة وسجد للأب البطريك على الأرض، فأقامه الأب البطريك ولم يدعه يسجد له، وقال له: إن الله نسجد كلنا. فقال له الخليفة: الآن تحققت أن دين النصارى هو الحق بالصحة والاستقامة، والآن تمنى علىّ شيئاً اعمله لك. فقال له الأب البطريك: أريد منك يا مولانا أن تساعدنا بشمول نظركم السعيد فى بناء كنيسة لطيفة فى هذا المحل، لأن لنا فيه أجساد شهداء من أيام الكفرة عباد الأصنام، كانوا قتلوهم بسبب أنهم خالفوهم ولم يسجدوا للأصنام الذهب والفضة. وأن الملك سنان الخليفة أمر للوقت بأن ينظفوا المكان جيداً. وأتى الأب البطريك وفتح باب الدرج ونزل سراً إلى القبو، فوجد أجساد الشهداء مرصوصين مثل خلايا النحل ومنهم تفوح

رائحة ذكية أذكى من المسك والعنبر، ووجد الست الطاهرة العفيفة دميانة على السرير الغالى القيمة والأربعين عذراء حولها بجانب السرير منفردات عن أولئك الشهداء، فتيبارك منهم جميعاً وصعد<sup>(17)</sup>. ثم أمر الملك بسرعة فبنوا في ذلك المكان بيعة لطيفة بقبة واحدة بحضرة الملك سنان الخليفة؛ وكرّسها الأب البطريك في اليوم الثاني عشر من شهر بشنس، وحصل منها في ذلك اليوم آيات وعجائب قوية وأشفية ومعجزات باهرة وشاع خبرها في سائر البلاد وتقاطرت إليها الناس بالندور والشموع والبخور باسم الست دميانة وجميع الشهداء الأبرار أيضاً. فكان تكريسها.. في مثل هذا اليوم الذى هو ثانی عشر شهر بشنس، أولاً في زمن.. قسطنطين الملك، وثانياً في أيام مملكة الاسلام في عهد البابا خائيل الأول البطريك (46) الذى تولى الكرسي (743-767م)<sup>18</sup> في 12 بشنس. وأما الخليفة فتعجب جداً من كثرة القوات والعجائب الحاصلة من هذه البيعة.

## إعادة تعمير الدير

### القرن التاسع عشر في عهد نيافة الأنبا باسيليوس

في سنة 1871 قام نيافة الأنبا باسيليوس مطران القدس والدقهلية ودمياط وبلاد الغربية ببناء كنيسة معلقة باسم العذراء مريم فوق الكنيسة الأثرية المجاورة لقبر الشهيدة دميانة بعد هدم قبائها الأربعة. قام أيضاً ببناء كنيسة الأنبا أنطونيوس سنة 1871م فوق بقايا كنيسة أخرى أثرية إلى الناحية القبلية الغربية من قبة قبر الشهيدة دميانة.

### القرن العشرين في عهد نيافة الأنبا بطرس

قام ببناء كنيسة القديسة دميانة الكبرى التي في مدخل الدير إلى الجهة الشرقية من الكنائس الأثرية.

<sup>17</sup> ( في المخطوطة الموجودة بكنيسة العذراء المعلقة بمصر القديمة؛ ذكرت القصة أن قداسة البابا البطريك قد نقل جسد القديسة دميانة مؤقتاً إلى الكنيسة المعلقة إلى أن يتم إعادة بناء الكنيسة في البرارى، وأنه صار يحتفل بعيد تكريس كنيستها الأولى السنوى في 12 بشنس (20 مايو) في الكنيسة المعلقة إلى أن تم بناء كنيسة البرارى. ولذلك سُميت كنيسة المعلقة كنيسة السيدة العذراء والشهيدة دميانة، ووضعت أيقونة الشهيدة دميانة في منتصف الحائط الغربي في مواجهة الداخل إلى الكنيسة، وكذلك أيقونات أخرى داخل الكنيسة المعلقة ومقصورة.

<sup>18</sup> من كتاب "تاريخ الكنيسة القبطية" تأليف المتبحر القس منسى يوحنا الطبعة الثانية سنة 1979م صفحة 367

## فى عهد نيافة الأنبا تيموثاوس

فى سنة 1930م سُيم نيافة الأنبا تيموثاوس مطران الدقهلية ودمياط وبلاد الغربية. وفى سنة 1935م قام نيافته بامتداد كنيسة الشهيدة دميانة (الكنيسة الكبرى) إلى الشرق، إذ نقل الهيكل الكبير إلى ناحية الشرق، ومد صحن الكنيسة فى الناحية الشرقية وقام بإلغاء باكيتين فى مؤخرة الكنيسة من الغرب. وقام نيافته أيضاً سنة 1935م بترميم قبر القديسة دميانة بعمل تحصين له بالمسلح والموزايكو واستبدال الصليب الخشبي أعلا القبر بصليب من الموزايكو إرتفاعه حوالى 1,5 متر. وعمل سور خشبي به فتحات يحيط بالقبر.

## فى عهد نيافة الأنبا أندراوس

منذ أن تسلم نيافة الأنبا أندراوس رئاسة الدير فى ديسمبر 1969م وضع فى نفسه أن يعيد ذلك المكان المقدس إلى مجده القديم روحياً ومعمارياً. فمن الناحية المعمارية؛ أعد نيافته مشروعاً قام بتصميمه بعض كبار المهندسين المعماريين لكى ينفذ على مراحل؛ فانشأ مقراً جديداً للمطرانية من دورين على أساسات تتحمل خمسة أدوار، كما أحاط الدير بسور جديد حول الدير على أساسات خرسانية، وأقام منارتين لبوابة الدير. وبدأ فى تجديد سقف الكنيسة الكبرى الخشبي الذى لم يعد متماسكاً؛ وقام ببيعه لاستبداله بسقف خرسانة مسلح. وأعد كميات كبيرة من الزلط، وأودع ثمن السقف الخشبي فى حساب بالبنك تمهيداً للبدء فى العمل. وفكر نيافته أيضاً فى عمل دير للراهبات؛ فجمع 13 راهبة وطالبة رهبنة. ولكن نيافته رحل سريعاً إذ لم يمكث سوى حوالى سنتين ونصف فى الأسقفية وتنيح فى 1972/8/4م. وكان وقتها عمره 42 سنة فقط، وكان هو أصغر الأساقفة سناً فى ذلك الوقت. وقام بالصلاة على جثمانه الطاهر صاحب القداسة البابا شنودة الثالث، ودُفن فى مقبرة بالدير يوم 1972/8/5م فى تذكارة نقل جسد القديس أندراوس الرسول.

## ما بين القرن العشرين والحادى والعشرين

### فى عهد نيافة الأنبا بيشوى

بعد رحيل الأسقف الوديع الأنبا أندراوس؛ حرص قداسة البابا شنودة الثالث على استطلاع رأى الشعب بنفسه، فحضر خصيصاً إلى دير القديسة دميانة واتفق الجميع على اختيار الراهب القس توما السريانى. وقام قداسة البابا بسيامته أسقفاً باسم الأنبا بيشوى فى 1972/9/24م خلفاً للمنتيح الأنبا أندراوس بعد أن رقاہ المنتيح الأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان إلى درجة القمصية فى 1972/9/17م.

نشكر الله الذى أوجدنا فى هذا الزمان الذى فيه نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى -أطال الرب حياته- مطراناً على إيبارشيتنا الحبيبة ورئيساً لديرنا العامر دير القديسة دميانة بالبرارى. إذ أن نيافته قد جعل منه مكاناً يليق بكرامة هذه الأميرة الراهبة القديسة الشهيدة التى عاشت فيه هى وصاحباتها الأربعون فى حياة شركة وحب مع العريس السماوى حتى استحققن أن ينلن الشهادة من أجل اسمه المبارك..

ونيافته على صلة وثيقة بالشهيدة دميانة تربطه بها محبة متميزة ونشعر جميعاً أن له فى قلبها مكانة خاصة. فمن خلال علاقة الحب المتبادل بينهما يعمل نيافته وهى دائماً تؤازره بصلواتها، وتظهر محبتها له. وظهر هذا فى اهتمامه بتشجيع من قداسة البابا شنودة الثالث-أطال الرب عمره- بإحياء حياة رهبانية فى الدير لتكون ممتدة للسيرة العطرة والذكرى الطيبة للشهيدة العفيفة دميانة وصاحباتها الأربعين عذراء. ولكن لم يكن الاحتفاظ من الراهبات وطالبات الرهينة السابقات فى الدير سوى بطالبة رهبنة واحدة؛ وغادرت الباقيات الدير بعد انتظام الحياة الرهبانية فيه تمهيداً لإعادة الرهينة إليه. ولكن كثيرات كن قد تقدمن للالتحاق بالدير من الراهبات وطالبات الرهينة الجدد ومكثن تحت الاختبار، ومرت ست سنوات كاملة منذ سيامة نيافة الأنبا بيشوى.

## الاهتمام بحياة الراهبات وثقافتهن الروحية والعقائدية

طبقاً لتوجيهات قداسة البابا شنودة الثالث ومنذ تجليس نيافة الأنبا بيشوى فى دير القديسة دميانة بالبرارى يوم 3 أكتوبر 1972م بحضور صاحى النيافة المتنيح الأنبا ثاوفيلس رئيس دير السريان والمتنيح الأنبا مكسيموس مطران القليوبية ومركز قويسنا؛ قام نيافة الأنبا بيشوى بعمل نظام روحى لطالبات الرهينة فى الدير من حيث وجود جرس لصلاة نصف الليل، ومجمع التسبحة، ومجمع صلوات الغروب، وتخصيص أب اعتراف للدير، والاهتمام بالعمل اليدوى المتنوع. واستمر هذا الأمر إلى إعادة الحياة الرهبانية للدير. وصار أب اعتراف الراهبات فى الوقت الحاضر هو الأب الموقر القمص يوانس البراموسى وكيل مطرانية المنوفية الذى يحضر خصيصاً على الأقل مرة كل شهر للدير لهذا الغرض ويُقيم فى مبنى المطرانية.

واهتم نيافة الأنبا بيشوى بحياة الراهبات الروحية؛ فقام بنفسه بتسليمهم بعض ألحان التسبحة، واستعان بالقمص بيسنتى الأنبا بيشوى (حالياً نيافة الأنبا بيسنتى أسقف حلوان) لاستكمال هذا الأمر.

كما اهتم نيافة الأنبا بيشوى بعمل اجتماعات روحية للراهبات وطالبات الرهينة لإلقاء كلمة روحية أو محاضرة عقائدية عليهن. وكذلك باشر بنفسه الإرشاد الروحى لمن على مدى سنوات طويلة وحتى يومنا هذا. إلى جوار تخصيص بعض الراهبات فى الوقت الحاضر لإرشاد المقبلات حديثاً للرهبنة أو لطالبات الإرشاد الروحى؛ وذلك إلى جوار دور أب الاعتراف فى الاعترافات والإرشادات الروحية.

واهتم نيافة الأنبا بيشوى كذلك أن يشرف بنفسه على مركز الكومبيوتر والأبحاث الروحية والكتايبية والعقائدية بالدير. وأنشأ موقعاً على الإنترنت.

وأنشأ نيافته أرشيفاً في مبنى الدير لكثير من الأوراق والمستندات؛ تشرف عليه بعض الراهبات مع الاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة.

وقامت الراهبات في مركز الكمبيوتر والدراسات بدير الراهبات بمعاونة نيافة الأنبا بيشوى في إعداد ونشر كثير من أوراق الحوار اللاهوتى والأبحاث اللاهوتية التى يقوم بها نيافته، وكذلك في إعداد كثير من الكتب التى قام بإعدادها أو تأليفها للنشر؛ مع ترجمة كثير من هذه المواد إلى اللغة الإنجليزية ووضعها على الإنترنت.

## إعادة الحياة الرهبانية بالدير والاعتراف به

في يوم 24 سبتمبر 1978م وبناءً على طلب من نيافة الأنبا بيشوى أعاد قداسة البابا شنودة الثالث وأحبار الكنيسة الأجلء الحياة الرهبانية إلى الدير، وقد اختار قداسة البابا يوم الزيارة بنفسه؛ فجاء في العيد السادس لسيامة نيافة الأنبا بيشوى وكتبوا وثيقة بذلك؛ وقّع عليها قداسة البابا والآباء الأجلء الأجلء. وسنرى صورة ضوئية لهذه الوثيقة على صفحتي 55، 56 بالكتاب. وفي جلسة المجمع المقدس في 20 فبراير 1979م برئاسة قداسة البابا شنودة الثالث؛ أصدر المجمع قراراً بالاعتراف بدير القديسة دميانة، وتم التأكيد على إعادة الحياة الرهبانية إلى دير القديسة دميانة للراهبات ببرارى بلقاس.

## الاهتمام بالتعمير والترميم

وهنا لا يفوتنا أن نذكر بعضاً من الإنجازات التى تمت على أيدي نيافة الأنبا بيشوى؛ على الرغم من كثرة أعباء نيافته وأعماله الرعوية؛ إلا أنه يتفقد كل أعمال المباني بنفسه ويعطى توجيهاته الهندسية.. مشكوراً عليها. نسجلها هنا للتاريخ..

كان قد مضى على الكثير من مباني الدير زمن طويل دون أن تمتد لها أيادي التعمير؛ فقد أكمل نيافته ما بدأه نيافة المتنيح الأنبا أندراوس وزاد عليه بحسب ما أعطته نعمة الرب أن يعمل. وكل من يعرف نيافة الأنبا بيشوى يستطيع أن يلمس بقوة يد الرب التى تعمل معه وبه بصورة تُقوّى الإيمان والثقة في مواعيد الله ومحبتة وقدرته. فلا يوجد مكان في الدير لم تمتد إليه يد نيافة الأنبا بيشوى بالتعمير والترميم.. هذا بالإضافة إلى كثير من المباني العديدة المستجدة التى تم إنشاؤها.. ونذكر هنا البعض من أعمال الترميم والتعمير بالدير.

## هيئة الآثار

بعد فترة من الزمن وفي عهد قداسة البابا شنودة الثالث قامت هيئة الآثار بالتنقيب في التل الأثرى الموجود إلى الناحية الشرقية القبلىة من الدير الحالى، فوجد بعض من جدران الدير القديم الذى كان قد بناه

الوالى مرقس لابنته القديسة العفيفة دميانة فى هذه البقعة من الأرض.. ومع مدار الزمن أصاب القدم هذه المنطقة وكان الاهتمام كله مركزاً على البيعة من حيث الكنيسة والمقبرة أكثر من الدير القديم (19).

---

<sup>19</sup> وأقامت الكنيسة أسقفياً كما ذكرنا سابقاً؛ ومع كهنه ورهبان لخدمة المقبرة التى بها أجساد الشهداء، وخدمة البيعة من إقامة القداسات والصلوات الطقسية، وبنى أمام الكنيسة التى بها أجساد الشهداء مساكن ديرية خاصة بالأسقف والرهبان وهى التى تُسمى بالقلال الأثرية حالياً، وهى تقع تحت بيت الخلوة الحالى بالدير.